مذكرات رضا نور

التحاقي بحركة كمال أفادها دعائيا

الحلقة الثامنة

أحرض الناس للالتحاق بمصطفى كمال

الآن اقوم بالدعاية لكي يهرب كل الناس (من استانبول) الى الاناضول (حيث مصطفى كمال) سبب هذا: ألا تبقى الأغلبية (اغلبية النواب) في العاصمة استانبول. بدأ ولكن ببطء قسم من النواب في الهروب الى الاناضول. وانا حتما كنت ساهرب. فاتحت اسماعيل حقي باشا بافكاري هذه. اعترض بشدة. لكني لم أعر اعتراضه ذرة من اهتمام.

كانت الحكومة في هذه الاثناء في اضطراب وعلى وشك السقوط، وسيتولى بعدها فريد باشا رياسة الوزارة. أما الصلة بين استانبول والاناضول فكانت مقطوعة. لا تعرف واحدة، عن الاخرى شيئا. حقيقة ان الوزارة وعلى رأسها علي رضا باشا وزارة فيها حمية، رايت هنا بعيني عدة مرات.

وزارته كانت تريد أن تتعاون مع الحركة الوطنية في الاناضول، كانوا يريدون ان يكون بينهم وبين الاناضول تخابر وتعليمات. ارادوا أن يبعثوا وفدا من النواب الى انقره من أجل ذلك. كان النواب ايضا يريدون هذا. لكن هذا لم يعد ممكنا. وفي اجتماع خاص للنواب في المجلس تشكل الوفد المشار اليه من اربعة اشخاص، وكنت انا ضمنه. وبفضل هذا تقرر ذهابي الى انقره. توجه الوفد الى الباب العالي، استقبلنا علي رضا باشا وصالح باشا.

نحن: ما هي واجباتنا؟؟ واي خدمة نستطيع ان نقوم بها؟

صالح: والله، اننا ايضا لا نعرف. واستولت الحيرة والدهشة علينا.

أنا: في هذه الحالة!

صالح: تصرف بما تعلم انه مصلحة الوطن. وانما هناك نقطة هامة، ان وزارتنا تهتز. وسياتي فريد باشا رئيسا للوزارة القادمة. واذا أتى فسينتهي كل شيء الى السيء. ينبغي الا يتولى الوزارة. بقاؤنا خير. لاشك اننا سنسقط إن آجلا او عاجلا، ولكن بقدر ما نستطيع البقاء بقدر ما يكون في هذا من صالح للبلاد.

كلام الباشا مضبوط ولا أحد يستطيع الاعتراض عليه، واننا نسمع ان مصطفى كمال لم يقبل التعامل مع هؤلاء فضلا عن أنه يعمل ضدهم. وهذا، لاشك، أمر غير مصيب.

صالح: هيا اسرعوا بالتحرك.

مصطفى كمال يقبض على وفد أنا عضو فيه

تحركنا. وصلنا الى ازنيق. استضافنا فيها متصرفها ويدعى سعاد. وفي اليوم التالي وصلتنا صحف استانبول وقد اطلقت علينا لقب: «وفد التضحية»! شيء عجيب! وكاننا لجنة مهمتها تقديم النصح. معنى هذا ـ بالنسبة لكلام الجرائد ـ ان وزارة استانبول ارسلتنا لكي ننصح القائمين بالحركة الوطنية في الاناضول. ونقنع مصطفى كمال، ولابد من محاولة هذا. وهذا يستلزم وقتا. ليست خطة خبيثة. معهم الحق في هذا. لكنهم استعملونا كحيوانات المعامل.. ذلك لان مصطفى كمال سيطير صوابه من جراء هذه الجملة. أيقبل هو ان يتصاغر لدرجة تلقيه النصيحة. لابد انه سيتخذ ضدنا اجراءات رديئة. لم يفكروا في هذا.

(في الطريق) وصلتنا برقية مصطفى كمال. باختصار يقول لنا: «انكم عملاء للانكليز. انكم خونة لوطنكم. انكم رجال حكومة استانبول الحقيرة». تحقير وتهديد مدهش! ها هو بالضبط ما كنا نفكر فيه ونخشاه قد حدث. حتى العودة الى استانبول لم تعد ممكنة (لان المنطقة تحت سيطرة القوات الوطنية التي يرأسها مصطفى كمال). اذن فقد سبق السيف العذل وانطلق السهم من قوسه. أجبنا على مصطفى كمال ببرقية قلنا فيها: «إننا لسنا كذلك!» اجابنا بقوله: «انتم وفد نصيحة. وبينما يفر الوطنيون ويصلون عندنا سيرا على الاقدام بعد تنقل بين الجبال والاحجار، تأتون انتم الى هنا مرفهين داخل قطار تابع للانكليز. ما قولكم في هذا؟!»

اذن فهذه هي النتائج المضرة لما نشرته الصحف. لكن الأساس في الأمر ان مصطفى كما لا يريد ان يتعاون مع استانبول. ان طموحه ينحصر في أنه يريد ان يركز كل شيء في ذاته



شخصيا.

أجبت أنا على مصطفى كمال. كلمته من علٍ. كتبت له عن الاحوال واننا لم نفكر الا في الوطن، ولا قصدنا الا مصلحة الوطن، لهذا ركبنا هذه الصعاب والمخاطر. كما قلت له اننا لسنا وفدا ناصحا واننا اكبر من أن نكون مطية للانكليز وبذلك لا يمكن ان نكون جواسيسهم.

كتبت اليه كل هذا بلهجة شديدة حتى ان الزملاء قالوا لي: «انك ستثير علينا هذا المغفل (اي مصطفى كمال) وتغضبه علينا». قالوا هذا وارادوا تعديل البرقية لكني خالفتهم. وأخيرا ألغوا جملة او اثنتين من البرقية.

احسست بشيء غريب. قلت لزملائي في الوفد يبدو أننا مقبوض علينا ولا ندري ثم ادركنا ان هذا صحيح بالفعل.

واخيرا تلقينا الجواب من مصطفى كمال على برقيتنا اليه. كان في هذه المرة رقيقا وكان يدعونا. وعلى الفور اذا بعملية القبض علينا التي احسسنا بها اذ لم نكن نستطيع التجول او الخروج من المكان الذي نحن فيه، قد انتهت. خرجنا وتجولنا قليلا.

خائن! من لا يلتحق بمصطفى كمال

كان كثيرا من الناس قد انتقلوا الى انقره، وأصبح من (الموضة) ان يطلق على كل من لا ينتقل الى الاناضول لقب خائن للوطن! وكان هذا خطأ عظيما.

إن في استانبول كثير من الوطنيين يشكلون الجمعيات من اجل ارسال الاسلحة الى الاناضول فكيف يمكن ان يطلق على هؤلاء انهم خونة؟!

لقائي بمصطفى كمال

واخيرا، وصلنا أنقره. التقينا بمصطفى كمال. شرحنا له الموقف. لم يقبل قط التعاون مع استانبول. يا عزيزي ما الضرر في هذا؟ بالعكس فالفائدة إنما تكون في هذا. لكن لا مجيب.

كنا مقتنعين بأن العمل مع هذا الرجل مستحيل. أردنا العودة الى استانبول. ذهبنا وأبلغنا مصطفى كمال باننا سنعود. وفجاة اصابني المرض. واذا بمصطفى كمال يزورني و يأتي حتى سرير مرضي. كان ناعما ورقيقا، اراد ان يجاملني. قال لي: «لا تذهبوا فالوطن في حاجة اليكم».

نشر مصطفى كمال عقب ابلاغنا له برغبتنا في العودة، تعميما مؤداه انني و يوسف كمال قد التحقنا به. اخبرنا بهذا بعد أن نفذ الأمر. اضطرب اهالي سينوب من جراء هذا الأمر خوفا من ان يقضي مصطفى كمال على حياتي. أبرق لي الاهالي يسألونني عن صحتي، أجبتهم بقولي: لا تقلقوا! اعملوا في سبيل الوطن.

التحاقي بحركة كمال أفادها دعائيا

أثر بيان مصطفى كمال هذا، تاثيرا طيبا جدا في الامة. كل الناس كانوا أعداء للاتحاديين. ان اكبر جريمة قام بها على كمال (الصحاق) هو انه اظهر الحركة الوطنية في الاناضول على انها حركة اتحادية قامت بها جمعية الاتحاد والترقي. وهكذا خدع الامة ومنع اكثر الاهالي الوطنيين من الاشتراك لمدة طويلة في هذه الحركة حتى أنه تسبب في ان يتحرك كثير من الناس اعداء الاتحاديين، ضد القضية الوطنية.

لم نعد نستطيع العودة. لقد جعلنا مصطفى كمال ببرقية. نواجه الأمر الواقع كانت هذه البرقية ذات تاثير كبير في القضية الوطنية. فلقد كان كل من في استانبول من فريد وعلي كمال والانتلافيين والسلطان يصفون حركة الاناضول بانها حركة اتحادية. كان الشعب كله في الاناضول خاصة هؤلاء الشرفاء المعارضين للاتحاديين يخافون من هذا، و يشعرون بالحساسية تجاهه.

وكان التحاقي بالحركة الوطنية في الاناضول اكبر دليل بارز على أن هذه الحركة ليست حركة اتحادية فبدأ هؤلاء في الالتحاق بالحركة والانتقال الى الاناضول بعد اذاعة هذه البرقية.

بعد ان فعل مصطفى كمال بنا هذه الحركة التي احتقرنا بها، يريد الآن أن يستفيد منا ولا يتركنا. أراد الاستفادة منا، لاسمه هو، ولصالحه هو. لا نستطيع العودة. احيانا نلين، ولكن كلما نتذكر هذه الحركة ننهض مرة اخرى نستعد للعودة.

في انقره، الشوارع خالية، لا احد فيها، وليس لدينا عمل فيها. يستدعينا مصطفى كمال بين الحين والحين ـ انا و يوسف كمال ـ الى مدرسة الزراعة. انه ينام فيها. هذه المدرسة تقع فوق تل بجوار انقره. كان يتباحث معنا هناك حول ضرورة تشكيل حكومة، وكيفية تشكيلها.